مقدمة

نظرية النسق وبشكل أكثر تحديدًا المنهج النسقي الأسري يعتبر إطار نظري جد هام و حديث و شامل يرى الفرد كجزء من نظام أكبر و أن العلاقات هي مفتاح محرك للنسق و التفاعلات. فالتواصل والتفاعل بين أفراد الأسرة قد يدمج في سياق اجتماعي أوسع تكون فيه الأسرة جزءًا لا يتجزأ. مفهوم التواصل هو لب التفكير النسقي الذي يعتبره ضروريا داخل الأسرة، لتطوير علاقات صحية والحفاظ على نظام فعال. فحسب هذا التوجه التواصل هو عملية ديناميكية تتضمن إشارات لفظية وغير لفظية تتأثر بمجموعة من العوامل مثل الخلفيات العائلية والخلفيات الثقافية والشخصية. يؤكد النهج النسقي أيضًا على أهمية فهم النسق الفرعية المختلفة داخل الأسرة مثل النظام الفرعي للوالدين والطفل والنظام الفرعي للأشقاء والنظام الفرعي للزوجين. فلكل هذه الأنظمة الفرعية أنماط تواصل خاصة تسمح بفهم الأدوار و التوقعات، على غرار ذلك فإنها تلعب دورًا رئيسيًا في تشكيل الأداء العام لنظام الأسرة. يوفر هذا المنهج نقطة وصل قيمة بين المختصين مثل الأطباء والباحثين العاملين في مجال العلاج الأسري وعلم نفس الأسرة.

بدوره يهتم علم النفس المرضي بدراسة الاضطرابات النفسية والسلوك الطبيعي والغير طبيعي، حيث يشير مفهومه إلى دراسة الاضطرابات النفسية وتطورها وعلاجها والوقاية منها. من جهتها الأسرة تعتبر أساس التكوينات النفسية الأولية و نظام التعلق الآمن أو الغير آمن ما يجعلها تفسح المجال لفهم تطور الاضطرابات النفسية بداخلها أو لدى أحد أفرادها. فلقد أظهرت الأبحاث في هذا المجال أن الاضطرابات النفسية لا تنتج فقط عن عوامل بيولوجية أو نفسية فردية فحسب بل يمكن أن تتأثر أيضًا بالعوامل الاجتماعية والبيئية بما في ذلك الأسرة التي تلعب دورًا مهمًا في تنمية الصحة العقلية للأفراد .

علم النفس المرضي للأسرة هو تخصص حديث سمح باستكشاف تأثير ديناميكيات الأسرة على الصحة العقلية لأفرادها معتبرا أن الأسرة قد تكون مصدر دعم وحماية و الرفاهية ولكنها قد تكون أيضًا مصدرًا للتوتر والنزاع، ما يجعل الاضطرابات النفسية نتيجة للتفاعل المعقد بين العوامل البيولوجية والبيئية والنفسية الاجتماعية، بما في ذلك العوامل الأسرية مثل أنماط الأبوة والأمومة والعلاقات بين الوالدين والطفل وأساليب التوصل وديناميكيات الأسرة وأحداث الحياة المجهدة. تم تطوير العديد من النظريات لفهم علم النفس المرضي للأسرة، بما في ذلك النهج النسقي ونظريات أخرى سمحت بالتعمق في مفهوم الأسرة و تطورها، معتبرين أن الاضطرابات النفسية يمكن أن تكون متعلقة باختلال التفاعلات الأسرية وأنماط التواصل والمعتقدات.

1. الأسرة :

لمفهوم الأسرة تاريخ طويل في مجال العلوم الاجتماعية، فقد تطور بمرور الوقت وفقًا للتغيرات التاريخية والاجتماعية والثقافية والسياسية. درست الأسرة منذ العصور القديمة، مع وجهات نظر مختلفة اعتمادًا على التاريخ والثقافات لكنها بدأت تدرس بطريقة منهجية في العلوم الاجتماعية في القرن التاسع عشر بسبب التغييرات المرتبطة بالثورة الصناعية والتطور الحضاري أنذاك، مع ذلك كانت لا تزال الأسرة تعتبر مؤسسة خاصة ليس لها تأثير حقيقي على المجتمع خارج نطاقها الخاص. بداية القرن العشرين كان الفاصل حيث ظهرت بعض المناهج الاجتماعية والأنثروبولوجية التي درست الأسرة بمقاربات جديدة معتبرة إياها مؤسسة اجتماعية لها تأثير على المجتمع ككل، مثل النظرية الوظيفية والبنيوية التي تعتبر الأسرة كنظام يخص الأدوار والوظائف اللازمة للتنظيم السليم للمجتمع (Pearson, 1951).من جهة أخرى، فإن الأسرة ترتبط ارتباطًا وطيدا بسياقات ثقافية محددة، مثل المعايير والقيم التي تؤثر على كيفية فهمها وتنظيمها فقد تولي الثقافات الجماعية أهمية كبرى للأسرة الممتدة والروابط الخاصة مابين الأجيال في حين أن الثقافات الفردية قد تركز على فكرة الاستقلالية و قدرة كل فرد في التحرر من أفراد أسرته.

تميز ظهور علم نفس الاجتماعي للأسرة باستكشاف التفاعلات بين أفراد الأسرة فغالبًا ما كان علماء الاجتماع وعلماء الأنثروبولوجيا وعلماء النفس يُجرون أبحاثا حول العائلة تستند في الكثير من الأحيان على الملاحظة ودراسات الحالة. في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي، بدأ علماء النفس الاجتماعي في تطوير نظريات ونماذج أكثر رسمية لفهم أداء الأسرة. أولى المناهج النظرية في علم النفس الاجتماعي للأسرة هي نظرية الأدوار الأسرية التي تعتبر أن لكل فرد من أفراد الأسرة دورًا محددًا يلعبه، و تنظيم الأسرة مرتبط بكيفية تحقيق هذه الأدوار من طرف كل فرد. تأثرت هذه النظرية بعمل عالم الاجتماع تالكوت بارسونز، الذي طور أنذاك نظريته للبنية الاجتماعية على أساس الأدوار والوظائف.

خلال الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، شهد علم النفس الاجتماعي للأسرة ازدهارًا كبيرًا مع ظهور مناهج نظرية ومنهجية جديدة. على سبيل المثال ظهر نهج النسق الأسري الذي يُنظر إلى الأسرة على أنها نسق معقد من التفاعلات والعلاقات. وقد تأثر هذا النهج بنظرية النسق في علم الأحياء وعلم التحكم الآلي وأدى إلى ابتكار أساليب بحث جديدة مثل تحليلات الشبكة التواصلية ونماذج المحاكاة. في الثمانينيات والتسعينيات استمر علم النفس

الاجتماعي للأسرة في التطور مع ظهور نظرية التعلق ونظرية الأبوة وقد أكد هذا التوجه على أهمية العلاقات العاطفية والوجدانية داخل التنظيم الأسري في تطورها و نموها. للأسرة تاريخ طويل في العلوم الاجتماعية فقد تمت دراستها في إطار مناهج مختلفة ومتنوعة عبر سياقات ثقافية محددة، وهذا ما يبرز أهمية مراعاة السياق التاريخي والثقافي في دراسة الأسرة في العلوم الاجتماعية.